السلسلة الماسية في نصرة الصادق الأمين....وسيرته القدسية

الحلقة (١٤)

نبذة مختصرة من مواقف

المحرر الأعظم والرسول الأكرم

مـُحَـمَّـد

(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

بقلم

حميد الدراجي

مقدمة لجنة البحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ حياة العظماء وما يتعلّق بها تدعو الأمم والشعوب لاستذكارها من أجل أخذ العِظَة والعِبْرة واتِّخاذ تلك السيرة منهاج عمل في الحياة لما فيها من المؤهلات والإمكانيات لتكون طريقاً يتّبعه الناس فيجعلون من حياة هؤلاء العظماء مثالاً يُحتَذى، فكيف إذا كانت تلك الشخصية هي شخصية خاتم الأنبياء والمرسلين (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هذه الشخصية التي لا نظير لها ولا شبيه في الأخلاق والسلوك والمعاشرة مع الناس. وقد أوضح الله سبحانه ميزات وأخلاق هذه الشخصية بقوله {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ القلم ٤. نعم هي شخصية محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تلك الشخصية التي لم يصاحبها أحد إلا وبقي مبهوراً ممّا يجد فيها من حسن الأخلاق ودماثة الطباع ولين العريكة وبشاشة

الوجه وطلاقته، فشخصية كهذه إنما الإحاطة بها من المحال وضرب من الخيال، ولكن مع ذلك فإنَّ ما لا يُدرَك كلّه لا يُترَك جلّه فلا بد من ذكر ما يمكن أن يكون نافعاً للأجيال أن تطّلع عليه. وقد أجاد المؤلف الأخ المؤمن حميد الدراجي في ذكر بعضٍ من أخلاق الخاتم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وما يتعلّق بشؤون حياته. ويصلح أن يكون هذا البحث الحلقة رقم (١٤) من حلقات السلسة الماسية في نصرة رسول الإنسانية (صلّى الله عليه وآله وسلّم). نسأل الله أن يوفق المؤلف لكل خير وأن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناته.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

لجنة البحوث والدراسات في الحوزة العلمية المقدسة

النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة /٣٣.

﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة/ ١٢٨.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ/٢٨.

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة/٢ .

الإهداء:

إلى صانع الحضارة الإنسانية،

إلى من دمّر عقائد الجاهلية وحوّلها الى ركام،

إلى سيد المرسلين وحبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وأهل بيته الأطهار المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

إلى نور الله في الظلم.. مهدي الأمم.. القائم المنتظر صلوات الله عليه.

إلى حامل راية الهدى. سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد الصرخي الحسني (دام الله ظله الشريف).

إلى المؤمنين والمؤمنات الأخيار.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ.
اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ.
اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي.

وبعد..

نحن أمام داعية الله الأكبر الذي حطم الأوثان ودمر الأصنام وفتح آفاق العلم والفكر وحرر الانسان من مآثم الحياة وأقام له صرحاً شامخاً من التطور والإبداع.

نحن أمام أعظم مصلح اجتماعي في تاريخ بني الانسان، الذي أقام صروح الحضارة لأمم العالم وشعوب الأرض بعد ما كانت تعيش فوضى مدمرة في حياتها الاجتماعية ولاقتصادية.

نحن أمام أعظم بطل في تاريخ العالم كله، الذي استطاع ان يغير تاريخ البشرية من ظلام قاتم لا بصيص فيه من النور الى حياة مشرقة بالوعي والنور والاطمئنان والمودة والجمال.

نحن أمام البطولات الهائلة التي أنكرت الضعف وأبت الاستسلام والانخذال ومضت مسرعة في طريقها تشق الاجواء فرفعت كلمة الله عالية في الأرض والتي تعني تحرير الانسان من العبودية.

إنْ شاء الله تعالى سيكون بحثنا حول حياة الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، على أمرين:

الأمر الأول: صفاته النفسية (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

ويشمل عدة نقاط:

النقطة الأولى: (سمو الأخلاق)

من أبرز الصفات الرفيعة الماثلة في شخصية الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سمو الأخلاق، فقد كان آية من آيات الله تعالى في هذه الظاهرة التي امتاز بها على سائر النبيين وساد بها على جميع المخلوقين وقد صعق بها القلوب حتى استطاع أنْ يجمع كلمة العرب ويوحد صفوفهم ويجندهم لتطهير الأرض من براثن الوثنية والجاهلية وقد أثنى الله تعالى عليه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم/٤.

وتحدث (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن الأخلاق فقال: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** [1].

---

١) السنن الكبرى / ج١٠ /١٩٢.

في مدح أخلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم):

عن إبراهيم بن محمّد من ولد علي (عليه السلام) قال: كان علي (عليه السلام) يتحدث عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: **وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة.** [1]

ومن سمات أخلاقه انه كان يقسم لحظاته على أصحابه بالسوية. [2]

وكان يلاقي الكبير والصغير والحرّ والعبد ببسمات فياضة بالبشر من دون ان يظهر على معالم وجهه الشريف أي أمارة للغضب، اللهم إلا إذا رأى عملاً منافياً لشريعة الله تعالى.

ومما يشير الى ذلك: روى عبد الله بن عمر عن عظيم أخلاق النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) انه ما أخرج ركبتيه بين جليس له قط، وما جلس احد أمامه فيقوم حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه.[3]

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على خلقٍ عظيم، كما وصفه ربه تعالى، وكان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعفّ الناس.

---

٢) ميزان الحكمة الريشهري/ ج١٠ / ٣٨٧.
١) روضة الكافي/ ٢٦٨. مشكل الاثار / ج٢٩٩/٤.
٢) مكارم الأخلاق/١٥.

وكان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يجلس حيث ينتهي به المجلس وكان يعفو ويصفح ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويحب المساكين ولا يحقر فقيراً لفقره ولا يهاب ملكاً لملكه. كان يعظم النعمة وإن قلت، وما عاب طعاما قط. يحفظ الجار ويكرم الضيف ويخصف نعله ويرقع ثوبه بيده ويركب الفرس والبغل والحمار، ولم يكن متكبراً ولا متجبراً. كان يردف خلفه عبده أو غيره وكان أكثر جلوسه إلى القبلة يطيل صلاته ويقصر خطبته كثيراً.

عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) قال: مَا سُئِلَ النَّبِيُّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لاَ.[1]

النقطة الثانية: (الحلم)

من الصفات البارزة في شخصية النبي العظيم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سعة الحلم فقد كان من أوسع الناس حلماً وكانت هذه من أبرز صفاته ومن أميزها:

وذكر المؤلفون في سيرته نوادر مهمة من عظيم حلمه، كان منها:

روى أنس ابن مالك قال كنت مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابي جذباً شديداً فأثرت حاشية البرد في

---

١) أم لم يعرفوا رسولهم/ ج١/ ٢٤٩.

صفحة عاتقه الشريف ورفع صوته على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قائلاً:

يا محمد، احمل لي على بعيري هذين من مال الله تعالى الذي عندك فانك لا تحمل من مالك ولا من مال أبيك،

فلننظر ماذا كان جواب المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على ذلك الأعرابي:

فأخذ الرسول الكريم يتبسم وقابله بلطف ورقّة قائلاً له:

((المال مال الله، وأنا عبده))، فتحدث النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) معه مبتسما قائلاً له: **((ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي))؟** فقال له الأعرابي: (**لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة**)، وضحك النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأمر أن يُحمل له على أحد بعيريه تمراً وعلى الآخر شعيراً.[1]

روى الترمذي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: **كَانَ النَّبِيُّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْزِعُ وَلا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ**

---

١) دلائل النبوة/ ابن نعيم ١٤٣.

الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ.[1]

ومن سمو حلمه أنَّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عفا عن ألدّ أعدائه: أبو سفيان الذين ناجزه الحرب وجهد على قتله، فعفا عنه وبهر منه وقال بإعجاب: (ما أحلمك وما أوصلك وأكرمك).[2]

في مدح الحلم:

عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبيه، عن جعفر بن مُحَمَّد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن علي (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم.**[3]

وأيضا من حلمه وأخلاقه وحبه للناس:

عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل التحبب إلى الناس.**[4]

---

٢) أم لم يعرفوا رسولهم / ج١ / ٢٤٩.
٣) مجمع الزوائد / ج٦ /١٦٦.
١) الخصال / ج ١ / ١٥.
٢) الخصال / ج ١ / ٢٦.

لقد كان الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من آيات الله العظام في عظيم حلمه والذي انبهرت به الدنيا وأخذت الأجيال تحكيه جيلاً بعد جيلٍ.

النقطة الثالثة: (قوة الإرادة)

من المؤكد في علم النفس أن قوة الإرادة من أميز الصفات التي يتحلى بها الانسان، وهي تُدرجه في مصافِّ العظماء الخالدين. وقد كتب التاريخ الخلود لبعض الشخصيات التي دخلت معترك الحياة وفي ميدان الصراع المسلح مع القوى المناهضة لها، أمثال نابليون وأبي مسلم الخراساني وغيرهما، وهم لا يملكون أية صفة أخرى سوى هذه الصفة.

والان دعونا نرى ما هي قوة الإرادة التي تميز بها خاتم النبيين وسيد المرسلين (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

دخل النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في صراع رهيب جداً مع القوى الجاهلية المنحطة فكرياً وعقائدياً فحمل عليهم بصموده، وقوّاه الله عز وجل وصبّره فدمر جميع معالمها وقضى على أعمدتها، وذلك بقوة إرادته وصلابة عزمه.

من جانب آخر نرى أن قريش تسلحت بكل قواها المادية ودخلت في ميدان الصراع مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلم يحفل بهم ولم

تُخفه وحدته مع قلة من آمن به من المستضعفين هؤلاء الذين لم يكن لهم ركن شديد يأوون اليه إلا هو (صلّى الله عليه وآله وسلّم). وانطلق مع قلة الناصر والصديق، وأخذ يملي على صفحات الدنيا إرادته التي لا يقف أمامها كل طواغيت قريش. فأدرك عمه أبو طالب قرار قريش الصارم وعدم تورعها عن سلوك أبشع السُّبل للقضاء على ابن أخيه ورسالته الفتية، فحاول تهدئة الموقف وتسكين غضب قريش حتَّى يعالج الموقف مع الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولكن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أصرّ على مواصلة تبليغه الرسالة تنفيذاً لأوامر الله مهما كانت الظروف والنتائج فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((**يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته**)) [1] فتأثّر أبو طالب (عليه السلام) وهو يعلم صدق ابن أخيه ويؤمن به فقال له:

اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أُسلمك لشيء أبدا.

وكأنهم لما رأوا صموده (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في وجه كل التحديات، ورفضه كل المغريات، وصلابته في كل مرحلة مع ما كان يتمتع به من الصدق أخذوا يهابونه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويخشون منه.

أي إرادة.. وأي قوة.. وأي إصرار..

---

١) معرفة سيرة نبي الإسلام / ج١/٢٢.

ومن حديثه (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **مَثَل المؤمن القوي كالنخلة، ومَثَل المؤمن الضعيف كخامة الزرع.** [1]

ومما يشير الى صلابة عزمه وإرادته:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الأَخْنَسِ أَنّهُ حُدّثَ أَنّ قُرَيْشًا حِينَ قَالُوا لأَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةَ بَعَثَ إلَى رَسُولِ اللّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ أَخِي: إنّ قَوْمَك قَدْ جَاءُونِي، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ فَأَبْقِ عَلَيّ وَعَلَى نَفْسِك، وَلا تُحَمّلْنِي مِنْ الأَمْرِ مَا لا أُطِيقُ قَالَ فَظَنّ رَسُولُ اللّهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أَنّهُ قَدْ بَدَا لِعَمّهِ فِيهِ بَدَاءٌ أَنّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ وَأَنّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ. قَالَ فَقَالَ رَسُول اللّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) **يَا عَمّ، وَاَللّهِ لَوْ وَضَعُوا الشّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ** قَالَ ثُمّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللّهِ (صلّى الله عليه

---

٢) جامع الأخبار / ج ٢٤/ ٤.

وآله وسلّم) فَبَكَى ثُمّ قَامَ فَلَمّا وَلّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فَقَالَ اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَ اَللّهِ لا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا.[1]

وهنا حاول زعماء قريش أن يمنوا ويغرروا لاستمالة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وإقناعه بالعدول عن الدعوة: فقد عرض عليه زعماء قريش الملك والمال والنساء. أرسلوا إليه عتبة بن ربيعة سيد قومه، فذهب إليه وهو يصلي في المسجد فقال له: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت، من خيارنا حسباً ونسباً، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها: إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي

---

١) معرفة سيرة نبي الإسلام / ج٢٢/١.

يأتيك رئيًا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطبيب، وبذلنا فيه أحوالنا حتى نبرئك منه.[1]

فهكذا كان زعماء قريش يحاولون إقناع النبي مُحَمَّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالعدول عن الدعوة، أو التنازل عن شيء منها مقابل تنازلهم عن أشياء، فكان قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ القلم/٩، فثبت الرسول وأصحابه في الموقف الذي لا يحتمل مساومة.[2]

هكذا كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كالطود العظيم لا تحركه رياح الجاهلية ولا أوثان قريش .كان صلباً قوياً لا يهاب زعماء ورموز قريش الذين كانت لهم السطوة والوجاهة والأموال والرجال.

النقطة الرابعة: (الشفقة والرحمة)

من صفات الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الشفقة والعطف والرحمة لجميع الناس بل لجميع المخلوقات. وقد أعلن الذكر الحكيم عن ذلك بقوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

---

١) موسوعة الدفاع عن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ج٢ / ٤٨.
٢) المصدر السابق.

عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة/١٢٨. كان شديد الرحمة والشفقة على أهله وعياله ويشير الى ذلك خادمه أنس ابن مالك: ((ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)))[١]. وضرب أروع أمثلة الرحمة واللطف والشفقة التي شملت المسلمين وغير المسلمين ممن آذوه وواجهوه بشتى ألوان العذاب. وقد استطاع بأسلوبه هذا ورأفته أن يؤلف بين القلوب ويوحد بين الناس ويجمع الكلمة على توحيد الله تعالى. نعم هذا هو العطف والإحسان والرحمة التي لا حدود لها ولذلك أعلنها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء/١٠٧. ومن رحمته ولطفه انه كان يؤتى بالصبي ليدعو له بالبركة أو يسميه فيأخذه ويضمه الى صدره الشريف.. وهو (صلّى الله عليه وآله وسلّم) القائل: (**الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى؛ ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء**)[٢].

يا سيدي يا رسول الله ما أحلمك وما أعظمك وما أرحمك هذه هي رحمة الرسول وسَعة صدره وسجاحة خُلُقه وكرم نفسه يدعو بالخير للذين آذَوه بالشرّ أشدّ الأذى وأبَوا أن يجيروه حين استجار بهم ثم قاتلوه أشدّ القتال،

---

١) صحيح مسلم/كتاب الفضائل/ ج٧ / ٦٧.
١) قطوف من الشمائل المحمدية / ج ١/ ٣٨.

ومع كل هذا لم يسأل الله لهم إلاَّ أعظم ما يعلمه من الخير وهو الهدى أرأيتُم رجلاً آخر في الدنيا بلغت الرحمة من قلبه هذا المبلغ؟ أجيبوني بالله عليكم ولا تقولوا إلاَّ الصِّدق [1].

ومما يشير الى رحمته ومنزلته من الله تعالى:

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا روح قال حدثنا شعبة عن أبي جعفر المديني قال سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضريرًا أتى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: يا نبي الله ادع الله أن يعافيني فقال: **إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك وإن شئت دعوت لك.** قال: لا بل ادع الله لي. فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضي وتشفعني فيه وتشفعه في. قال: فكان يقول هذا مرارًا ثم قال بعد أحسب أن فيها أن تشفعني فيه قال ففعل الرجل فبرأ. [2]

---

٢) الرسالة المحمدية / ج ١/ ١٨٤.

١) موسوعة الدفاع عن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ج ٤٥١/١٣.

رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع حلمه وعطفه ورحمته، قد لاقى أشد العناء وأشد التهم التي حيكت عليه من قبل قريش وأصنامها لا لشيء إلا أن يقول ربي الله تعالى.

وهذه مقولة للفيلسوف الانجليزي (توماس كارليل، الحائز على جائزة نوبل) بحق الخاتم المرسل (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في كتابه الأبطال: ((**لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مزوِّر.**

وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟))[1].

---

١) موسوعة الدفاع عن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)/ ج١٩/٢٢٢.

النقطة الخامسة: (الزهد)

من خصائص الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الزهد في الدنيا، فقد رفض كل زينتها وملذاتها وتجرد تجرداً كاملاً عن جميع رغباتها حيث عاش عيشة الفقراء والبؤساء .كان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لا يُعرف من بين الفقراء من الناس. وهذه بعض الروايات عن زهده:

روت عائشة قائلة: إن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم يمتلأ جوفه شبعاً قط، وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى، وان كان يظل جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع فلم يمنعه ذلك من صيام يومه. ولو شاء سأل ربه عز وجل لأتاه بجميع كنوز السماوات والأرض وثمارها ورغد عيشها، ثم يلتفت الى عائشة فيقول لها:

مالي وللدنيا؟ أخواني أولو العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم، فقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً وما من شيء هو أحب ألي من اللحوق بهم.[1]

---

١) أخلاق النبوة /٢٨٦.

فكان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كالضيف في هذا الدنيا أن زهد فيها وفي حطامها الفاني الذي مثّله بقوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): وإنما هو كالركب الذي استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.[1]

ولذلك قال (صلى الله عليه وآله وسلم):
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا لجمع الأموال وإنما بعثوا لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور....[2]

ومما يشير الى ذلك:
وعن عائشة قالت: توفي النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير.
وهذا يبين أن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يتقلل من الدنيا، ويستغني عن الناس ولهذا لم يسأل الصحابة أموالهم أو يقترض منهم لأن الصحابة لا يقبلون رهنه وربما لا يقبضون منه الثمن، فعدل إلى معاملة اليهودي لئلا يضيّق على أحد من أصحابه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقد كان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يصيبه الجوع ولهذا يمر ويمضي الشهر

---

٢) وداع الرسول لأمته دروس وعبر / ١/ ج٦٩.
١) موسوعة الدفاع عن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ٢ / ج ٤٣٨.

والشهران وما أوقدت في أبيات رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نار، قال عروة لعائشة ما كان يقيتكم؟ قالت الأسودان: التمر والماء.[1]

ومن عظيم أخلاقه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) التي تؤكد نبوته وبعثته للبشر أجمعين زهده في هذه الدنيا، مثله في ذلك مثل كافة الأنبياء الذين سبقوه، فلم تتشوف نفس رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى الدنيا يوماً من الأيام بل كان دعاؤه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) (**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[2].

ومما يشير الى زهده (صلى الله عليه وآله وسلم):

كان زهده (صلّى الله عليه وآله وسلّم) زهد من علم فناء الدنيا وسرعة زوالها وقلة زادها وقصر عمرها، وبقاء الآخرة وما أعدّه الله لأوليائه فيها من نعيم مقيم وأجر عظيم وخلود دائم، فرفض (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الأخذ من الدنيا إلا بقدر ما يسدّ الرمق ويقيم الأود، مع العلم أن الدنيا عرضت عليه وتزيّنت له وأقبلت إليه، ولو أراد جبال الدنيا أن تكون ذهباً وفضة لكانت، بل آثر الزهد والكفاف، فربما بات جائعاً ويمرّ الشهر لا توقد في بيته نار، ويستمر الأيام طاوياً لا يجد رديء التمر يسدّ به جوعه،

---

٢) موسوعة الدفاع عن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ٢٣/ج ٤٨٣.
١) أم لم يعرفوا رسولهم / ١/ج ٢٥٤.

وما شبع من خبز الشعير ثلاث ليال متواليات، وكان ينام على الحصير حتى أثّر في جنبه، وربط الحجر على بطنه من الجوع، وكان ربما عرف أصحابه أثر الجوع في وجهه (صلّى الله عليه وآله وسلّم).[1]

وكان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حريصاً تمام الحرص على تجسيد دين الله تعالى عالي الخلق الرفيع حيث يذكر لنا (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مقالته الشريفة (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)[2] حيث أبدى جانباً آخر من جوانب الإعجاز غير الإعجاز القرآني الثابت بل صوَّرَ لنا (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الإعجاز بالدليل الأخلاقي الذي طرحه على قلوب أشبه ما تكون بالحجارة الصلبة لكنها سرعان ما لانت وكانت طائعة لرسول الإنسانية.

وروى البزار عن جابر (رضي الله تعالى عنه) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) (**إن الله تعالى لم يبعثني متعنتا ولكن بعثني معلماً وميسراً**)[3].

---

١) محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كأنك تراه /ج١ /١٨.
٢) عيون الأثر / ج٢ / ٤٢١.
٣) سبل الهدى والرشاد / ج٧ / ٦.

النقطة السادسة: (حب الفقراء)

من الصفات الرفيعة الماثلة في شخصية الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حبة للفقراء وتواضعه لهم. كان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يعظم الود والحنان لهم وكان أباً رحيماً وحصناً منيعاً لهم وكهفاً وملجأً وملاذاً يلوذون به (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حيث وجدوا في كنفه الحب والإحسان والعطف ما لا يوصف. كان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوصي المسلمين بالبر والإحسان لهم وجعل لهم نصيبا مفروضاً في أموال الأغنياء، فشرع الزكاة وألزم المسلمين بها. ومن حبه لهم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) انه كان يدعو الله تعالى أن يحشره في زمرتهم، فقد روى أبو سعيد قائلاً سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: ((**اللهم احيني مسكينا وتوفني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين**))[1].

ومما يشير الى ذلك: روي أَنس ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: ((**اللهم أحيني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة**)) **فانبرت اليه عائشة قائلة لم يا رسول الله؟ فقال لها: انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً. يا عائشة لا تردّي المسكين ولو بشق تمرة يا**

---

١) مستدرك الحاكم / ٢/ ج٥٦.

عائشة أحبي المساكين وقربيهم فإنَّ الله تعالى يقربك منه يوم القيامة))[1].

كان كرم النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) للفقراء لا حدود له وكان شديد الجود، فكان يبذل كل ما هو موجود لديه. يعطي عطاء من لا يخاف الفقر فلا يرد سائلاً قط. حين يسأله أحد شيئا لديه، لا يرده صفر اليدين، بل يعينه ويسر قلبه.

فعن جابرٍ (رضي الله عنه) قال ما سُئِل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) شَيئاً قَطُّ فقالَ: لا.[2]

وعن أَنسٍ (رضي الله عنه) قال: **ما سُئِلَ رسُولُ اللَّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عَلَى الإِسْلامِ شَيئاً إلا أَعْطاه وَلَقَدَ جَاءَه رَجُلٌ فَأَعطَاه غَنَماً بَينَ جَبَلَين، فَرَجَعَ إلى قَومِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمداً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لا يَخْشَى الفَقْرَ. وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إلاَّ يَسِيراً حَتَّى يَكُونَ الإِسْلامُ أَحَبَّ إِلَيه مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.**[3]

---

٢) صحيح الترمذي/ ٥٦/٢.
١) نبي الرحمة /٥٩/١.
٢) نبي الرحمة /٥٩/١.

وكان له من الكرم والجود يداً تعطي بلا حدود وتنفق بكل جود، وكان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يجالس الفقراء ويواكل المساكين.[1]

ومن وصاياه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لخليفته ووصيه أمير المؤمنين (عليه السلام): **الله الله في الفقراء والمساكين فاشركوهم في معايشكم.**[2]

حيث كان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن الكبر يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم، قالت عائشة: **كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته.**[3]

إن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعلى خلق أي أدب عظيم حيث أدبه ربه فكيف لا يكون أكمل الخلق أدباً وقد أمره ربه في القرآن بكل خلق رفيع من مثل خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، ومثل وشاورهم في الأمر، ومثل لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك الى غير ذلك من الآداب الرفيعة التي أدب الله بها رسوله. وقد جعله هذا أكمل الناس أدباً وخلقاً. وقد سئلت عائشة عن خلق النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقالت كان خلقه القرآن وقال هو عن نفسه: **أدبني ربي فاحسن تاديبي**، وقال: **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.**[4]

---

٣) جوامع السيرة / ١/ ٤٣.
٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد / ١١/ ٣٠٦.
١) الرحيق المختوم / ١/ ج ٤٧٨.
٢) تفسير البغوي / ٧/ ٢٧٢.

وروى أبو الشيخ عن ابن عباس، وابن سعد عن أنس قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك.[1]

٣) سبل الهدى والرشاد / ج ٧/ ٣٣.

الأمر الثاني: إنتشار الإسلام

مضت ثلاث سنين والدعوة الإسلامية محاطة بالكتمان. وبعد كل هذه السنين الثلاث أمر الله تعالى بالجهر بالدعوة الإسلامية. ومما انزل من الوحي على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هذه الآية الكريمة: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }الشعراء/٢١٤.

قال ابن اسحق: ثم دخل الناس في الإسلام إرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به ثم إن الله عز وجل أمر رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يصدع بما جاءه منه وأن ينادى في الناس بأمره ويدعو إليه وكان مدة ما أخفى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أمره وأستسر به إلى أن أمره الله بإظهاره ثلاث سنين فيما بلغني من بعثه ثم قال الله له {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}الحجر/٩٤ ثم قال ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء/٢١٤-٢١٥، وقل أني أنا النذير المبين فلما بادى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا

خلافه وعداوته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلا من عصم الله منهم بالإسلام.[1]

وقام النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فخطب فيهم قائلاً:

((يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به أني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة واني أمرني الله تعالى أن ادعوكم اليه فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم))، ثم أحجم القوم كلهم ولم يرد عليه احد كأن على رؤوسهم الطير. فانبرى اليه أخوه وابن عمه أمير المؤمنين (عليه السلام) بكل قوة وإرادة وشموخ (يا نبي الله أنا سأكون وزيرك عليه) فاخذ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بيده وخاطب القوم **((إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا))**.[2]

نعم هذا هو حال الدعوة الإسلامية في بدايتها الأولى جاء النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الى ذلك المجتمع الجاهل المتناحر فوجد القوي يعتدي على الضعيف. نعم قبائل تتصارع من اجل إشباع الغرائز، إذ وجدهم يعبدون الحجارة والعيدان وما شابهها. مع كل هذا الصفات التي كان يحملها ذلك المجتمع، فقد استطاع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يحوّل هذه الصفات الذميمة الى مجتمع مثقف واع يعبد الله تعالى وحده. نعم

---

١) عيون الأثر / ج١/١٣١.
٢) تاريخ الطبري / ج٢ / ٦٣.

اخرج هذه المجتمعات من الظلمات الى النور بسياسته وأخلاقه وتضحياته، وقد عانى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنواع العذاب والاضطهاد من قريش ورموزها.

وعلى أي حال فقد أعار القوم دعوة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أذناً صماء ولم يستجب منهم أحد سوى عمه أبي طالب، وابنه الإمام علي (عليه السلام)، ثم تعالت أصوات قريش بالسخرية والاستهزاء قائلين لأبي طالب: ((أمَرك أنْ تسمع لابنك وتطيع)).

فزع قريش من دعوة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

وفزع القريشيون كأشد ما يكون من الفزع من دعوة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وبما جاء به واضطربت نفوسهم وانتشرت الكراهية والبغضاء في بيوتهم حيث التحق واعتنق الإسلام من أبنائهم ونسائهم والمستضعفون في ديارهم أمثال عمار ابن ياسر وسمية. وكان الولد المسلم ينفر من أبويه المشركين، والمرأة تخلع طاعة زوجها المشرك لأنه ليس بمسلم. أما الأرقّاء والمستضعفون فقد فتح لهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) آفاقاً كريمة من الحرية والعزة والكرامة.

نعم هذه العزة وهذه الكرامة التي أتى بها الخاتم المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حوّلت العبيد من الناس الى أحرار لهم عزتهم وكرامتهم وحوّلت ضعفاء المسلمين الى موحدين لله أقوياء بإيمانهم. دعوة الرسول الخاتم هي انتشال المجتمعات من عبادة الأصنام والأشخاص الى التوحيد بالله والخير والصلاح. ومع كل هذا ماذا فعلت قريش بالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؟ ناجزته العداء والاستهزاء. ومع كل هذا المضايقات استمر النبي بإبلاغ الدعوة وإيصالها الى البشر.

ثم عمت الاضطرابات بيوتات مكة وحدث فيها زلزال قوي وصراع رهيب دمر عروشهم وأزال أقدامهم وأرعب قلوبهم. هذا رغم قلة عدد المسلمين حينئذ، وانحصارهم في مكة، حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة أو بلغت ولكن بصورة متناثرة، حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش، وبعض أبنائها، لترى ماذا يكون مصير الموقف ولما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالجهر بالدعوة إلى الله فقد ازدادت الشدة عليه وعلى المؤمنين بسبب معاداة قريش له وإيذائه هو وأصحابه بكل ما أوتي لهم من قوة.

ولكن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد بذل أقصى جهده في إبلاغ الدعوة إلى الناس وهو لا يخاف لومة لائم مهما كانت قوته وسلطته وتحمل المشاق في سبيل إنجاحها.

وقد سلك الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في إبلاغ قومه في هذه المرحلة طرقاً شتى وهي إمّا أن يطلب الناس إلى التجمع ليبلغ رسالة ربّه أو أن يذهب إلى أماكن تجمعهم كالمواسم والأسواق، أو أن يذهب إلى مواطنهم ومكان إقامتهم.

ومما يدل على ذلك ما رواه ابن عباس قال: لما نزلت {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتى صعد الصفا فهتف بالناس فقالوا: من هذا فاجتمعوا إليه فقال: **أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أفكنتم مصدقي؟** قالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً. قال: **فإني جئتكم ((بلا إله إلا الله وحده لا شريك له)) وأنا نذير لكم بين يدي عذاب شديد**، فانبرى له أبو لهب وقال: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا.[1]

ومما يدل على ذلك أيضاً ما أخرجه الحاكم عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: **هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**.[2]

---

١) موسوعة الدفاع عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)/ ج ٨/ ٩٠.
١) عيون الأثر/ ج١/ ٢٠١.

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على ما قام به مشركو قريش في وقف الدعوة الإسلامية حتى اضطر صاحب الرسالة (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يبحث عن قوم آخرين يوجه إليهم الدعوة التي كلف بتبليغها.

لقد عانى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من قريش وزعمائها شتى صنوف العذاب، إذ أخرجوا إليه صبيانهم ليرمونه بالحجارة وهم يتفرجون عليه بسخرية واستهزاء. ومما يشير الى ذلك:

عن أنسٍ (رضي اللهُ عنه) قال: **لَمَّا كان اليَومُ الذي دَخَلَ النبيُّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فِيهِ المَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنها كُلُّ شَيءٍ، فَلَمَّا كان اليَومُ الذي مَاتَ فِيهِ، أَظلَمَ منها كُلُّ شَيءٍ).**

اللهُ أَكبرُ. أيها المسلمون، كُلُّ شَيءٍ يَعرِفُ رَسُولَ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وَيُحِبُّهُ، كُلُّ شَيءٍ يُؤمِنُ بِنُبُوَّتِهِ وَيُقِرُّ بِرِسالتِهِ، إلا مَن أَرَادَ اللهُ ضَلالَتَهُم مِن أَشقِيَاءِ بَنِي الإِنسانِ، فَلَم يَزَالُوا مُنذُ مَبعَثِهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ضَائِقَةً بِهِ صُدُورُهُم، غَاصَّةً بِهِ نُحُورُهُم، يَكِيدُونَ لَهُ وَيَمكُرونَ بِهِ، وَيُدَبِّرُونَ المُؤَامَرَاتِ ضِدَّهُ وَيُؤْذُونَهُ، سَخِرُوا مِنهُ وَاستَهزَؤُوا بما جاء به، واتَّهَمُوهُ بِالجُنُونِ والكَهَانَةِ، وَقَالُوا عَنه إِنَّهُ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ، وَوَضَعُوا سَلا الجَزُورِ على ظَهرِهِ وهو سَاجِدٌ يُصَلِّي، وَرَمَوهُ بِالحِجارَةِ حَتى أَدمَوا عَقِبَيهِ، وَحَاصَرُوهُ في الشِّعبِ وَتَآمَرُوا لِقَتلِهِ، بَل لم يَزَالُوا به حتى أَخرجُوهُ مِن أَحَبِّ البِقَاعِ إِلَيهِ وَأَبعَدُوهُ عنها، وَمَنَعُوهُ مِن دُخُولِها لِعِبادَةِ رَبِّهِ وَزِيَارَةِ بَيتِهِ، ثم

جَيَّشُوا الجُيُوشَ لِحَرْبِهِ وَجَابَهُوهُ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ وَشَجُّوا وجنَتَهُ وَأَدمَوا وَجهَهُ.[1]

لقد كان هدف زعماء قريش هو شن حرب إعلامية ضد الدعوة والداعية، والتآمر على الحق، كي تبتعد القبائل العربية عنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأنهم يطالبون بأمور يدركون أنها ليست طبيعة لهذه الدعوة ولهذا أصروا عليها بل لقد صرحوا بأن لو تحقق شيء من ذلك فلن يؤمنوا أيضاً بهذه الدعوة، وهذا كله محاولة منهم لإظهار عجز الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) واتخاذ ذلك ذريعة لمنع الناس عن إتباعه.

---

١) موسوعة الدفاع عن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)/ ج٣ / ٦٣.

من المعادين للنبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)

١ـ أبو جهل

كان من ألد أعداء النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أبو جهل فقد ملئت نفسه الخبيثة حقداً وعدواناً. وكان من إيذائه للنبي الخاتم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ما رواه عبد الله ابن مسعود قال: كنا مع رسول الله في المسجد وهو يصلي، فقام أبو جهل: فقال ألا رجل يقوم إلى فَرْث جزور بني فلان فيلقيه على مُحَمَّد وهو ساجد فقام عقبة بن أبي مُعيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو ساجد، فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم، ولم يزل عليه الصلاة والسلام ساجدًا حتى جاءت فاطمة (صلوات الله عليها) بنته فأخذت القذر ورمته. فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال: **"اللهم عليك بالملإ من قريش"**. وسمى أقواماً، قال ابن مسعود: فرأيتهم قتلوا يوم بدر.[١]

---

١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين / ج ١/ ٣٣.

٢ـ أبو لهب وامرأته

أما أبو لهب فهو من أشدّ الحاقدين من أعداء النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومن أكثرهم تجرّياً وتكذيباً. له وقد عانى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) منه أقسى ألوان المحن والخطوب، فكان يرمي القذر على بابه لأنه كان جار رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيخرج النبي وينحي القاذورات عن داره ويقول:

((يا بني عبد مناف، أي جوار هذا)).

وكانت زوجته أم جميل أخت أبي سفيان أيضاً لا تقل في عدائها وبغضها للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وكانت تقابله بالسب والشتم وتضع الشوك في طريقه واشتدت في عدائها له.

ولما نزلت فيها وفي زوجها سورة (المسد) كشفت خبثها وسريرتها وحقدها لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

{بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}

المسد/١٥.

٣ـ الحكم ابن أبي العاص بن أمية والد مروان

كان الحكم يستخف بالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويستهزأ به فكان يمر خلفه فيغمز به ويخلج بانفه وفمه، ثم التفت اليه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فرآه يفعل ذلك فقال له: ((**فلتكن كذلك**)) وفعلاً أخذ يختلج ويرتعش حتى هلك.

وهجاه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت مخاطباً مروان ووالده قائلاً:[١]

إن اللعين أباك قارم عظامه

إن ترم ترم مخلجاً مجنونا

يمسي خميص البطن من عمل التقى

ويظل من عمل الخبيث بطينا [٢]

نعم عانى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من هؤلاء القوم كل ألوان الخبث والاستهزاء: منهم من يضع القاذورات على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومنهم من يضع ثوبه في عنق النبي ويخنقه ومنهم من يرميه بالحجارة حيث قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كلمته الشهيرة ((**ما أوذي نبي مثل ما أوذيت**)).

---

١) انساب الأشراف / ١/ ١٥١.
٢) الاستيعاب / ١ / ١١٨.

حماية أبي طالب للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

قام أبو طالب بدور الرجل المدافع القوي الشجاع وتميز في حماية النبي الأكرم فكان القوة الضاربة التي وقفت الى جانبه. ولولا إرادة الله تعالى وشجاعة أبي طالب لما استطاع النبي أن يقف بعزم وثبات لتبليغ رسالة السماء أمام تلك الحيتان والرموز الحجرية والوحوش الكاسرة التي جهدت وجيشت كل قواها على إطفاء نور الله تعالى:

لقد أوجد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في ثورته انقلاباً فكرياً وتحولاً اجتماعياً فلقد خافت قريش على آلهتها وأصنامها التي أعلن النبي عليها الحرب بلا هوادة كما خافت على تقاليدها وأصنامها وعاداتها التي سخر منها النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقد ورمت أنافهم وانتفخ سحرهم وأوداجهم فناجزوا النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وحاربوه. وكان أبو طالب يبعث في نفسه العزم والقوة على السير في إبلاغ الدعوة الإسلامية، وقد خاطبه بهذه الأبيات:

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة

وابشر بذاك وقرّ منك عيونا

ودعوتني وعلمت انك ناصحي

ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

ولـقـد عـلمـت بان دين محمد

مــن خــيــر أديــان الـبريــة ديـنا

والله لن يصلـوا إليك بجمعـهـم

حـتـى أوســد فـي الــتراب دفيــنا

نعم حكت هذه الأبيات إيمان أبي طالب العميق بالإسلام وتفانيه في الدفاع عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وان القوى المعادية مهما بذلت من جهد في محاربة النبي فانها تقف عاجزة أمام أبي طالب لأنه كان حريصاً اشـد الحـرص علـى ابـن أخيـه ولا يفارقـه وحـال بينـه وبـين غوائـل الـدهر وعاديات الأيام، وكان شفيقاً عليه رفيقاً به، يحوطه ويحميه.

لقد كان أبو طالب شعلة مشرقة بالنور والإيمان والولاء للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقد سخر مواهبه الأدبية لمدح النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وذكرت له هذه الأبيات لمدح ابن أخيه:

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد

وإخوتـه داب المحب المواصل

فمن مثلـه في الناس أي مؤمـل

إذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عـادل غير طـائش

يـوالـي آلها ليـس عنه بغافـل

كريم المساعي ماجد وبن ماجد

له ارث مجد ثابت غير ناصل (•)

فأيـــده رب الـعـباد بنصـره

واظهـر ديـنا حقـه غيـر باطـل

فو الله لــولا إن أجـي بسـبة

تـجـر على أشياخنا في المحافل

لكنا اتبعـناه على كـل حـالـة

مـن الدهـر جدا غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مـكـذب

لـديـنا ولا يـعـنى بقول الأباطل

فـأصـبح احمـد في أرومــة

تـقـصر عنها سـورة المتـطاول

(•) ناصل: زائل

حدبت بنفسي دونه وحميتـة

ودافعت عنه بالذرى والكلاكل [1]

القصيدة طويلة، ولقد علق عليها ابن كثير بقوله: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت اليه.

---

١) السيرة النبوية: ابن كثير / ١م/ ٤٩١.

كلمة جامعة

نختم هذا البحث بكلمة جامعة من أخلاق النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أدلى بها وصيه وباب علمه أمير المؤمنين (عليه السلام):

((ما صافح رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) احد قط فنزع يده، وما فاوضه احد قط في حاجة أو حديث فانصرف، حتى يكون الرجل ينصرف وما نازع الحديث أحد حتى يكون هو الذي يسكت، ولا عرض له أمران إلا أخذه بأشدهما وما انتصر لنفسه من مظلمة تنتهك محارم الله فيكون حينئذ لله تبارك وتعالى، وما أكل قط متكئاً حتى فارق الدنيا، وما سئل شيئاً قط فقال لا، وما رد سائلاً حاجة إلا بها ميسور من القول، وكان اخف الناس صلاة وكان اقصر الناس خطبة واقلهم هدراً، وكان يعرف بالريح الطيب إذا اقبل، وكان إذا أكل مع القوم أول ما يبدأ وآخر من يرفع يده، وكان إذا أكل أكل مما يليه، فإذا كان الرطب والتمر جالت يده وإذا شرب شرب ثلاث أنفاس، وكان يمص الماء مصاً، ولا يعبه عباً، وكان يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وإعطائه، كان

لا يأخذ إلا بيمينه ولا يعط إلا بيمينه، وكان شماله لما سوى ذلك، وكان يجب التيمن في كل أموره: في لبسه وتنعله وترجله، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا تكلم تكلم وتراً، وإذا استأذن استأذنا ثلاثة، وكان كلامه فصلاً يتبينه كل من سمعه، وإذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه، وإذا رأيته قلت: افلج الثنتين وكان نظره للحظ بعينه، وكان لا يكلم أحد بشيء يكرهه، وكان إذا مشى ينحط من صبب، وكان يقول: **إن خياركم أحسنكم أخلاقاً**، وكان لا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا ينازع أصحابه الحديث، وكان المتحدث عنه يقول: لم أرَ بعيني مثله قبله ولا بعده)).[1]

((وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين))

---

١) بحار الأنوار / ج ١٦/ ٢٣٧.

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم
٢) ميزان الحكمة الريشهري
٣) روضة الكافي
٤) مكارم الأخلاق
٥) أم لم يعرفوا رسولهم
٦) دلائل النبوة
٧) مجمع الزوائد
٨) الخصال
٩) معرفة سيرة نبي الإسلام
١٠) جامع الأخبار
١١) سيرة ابن هشام
١٢) موسوعة الدفاع عن رسول الله
١٣) صحيح مسلم
١٤) قطوف من الشمائل المحمدية
١٥) الرسالة المحمدية
١٦) أخلاق النبوة
١٧) وداع الرسول لامته
١٨) مُحَمَّد رسول الله

١٩) مستدرك الحاكم
٢٠) صحيح الترمذي
٢١) جوامع السيرة
٢٢) سبل الهدى والرشاد
٢٣) الرحيق المختوم
٢٤) سيرة الشعراء
٢٥) عيون الأثر
٢٦) تاريخ الطبري
٢٧) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين
٢٨) بحار الأنوار

المحتويات

مقدمة لجنة البحوث والدراسات ..... - ٣ -
الإهداء:..... - ٦ -
المقدمة: ..... - ٧ -
الأمر الأول: صفاته النفسية (صلى الله عليه وآله وسلم) ..... - ٩ -
النقطة الأولى: (سمو الأخلاق) ..... - ٩ -
النقطة الثانية: (الحلم) ..... - ١١ -
النقطة الثالثة: (قوة الإرادة) ..... - ١٤ -
النقطة الرابعة: (الشفقة والرحمة) ..... - ١٨ -
النقطة الخامسة: (الزهد)..... - ٢٢ -
النقطة السادسة: (حب الفقراء)..... - ٢٦ -
الأمر الثاني: (الجهر بالدعوة) ..... - ٣٠ -
فزع قريش من دعوة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)..... - ٣٢ -
من المعادين للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ..... - ٣٧ -
١ـ أبو جهل..... - ٣٧ -
٢ـ أبو لهب وامرأته..... - ٣٨ -
٣ـ الحكم ابن أبي العاص بن أمية والد مروان..... - ٣٩ -
حماية أبو طالب للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ..... - ٤٠ -
كلمة جامعة ..... - ٤٤ -
المصادر والمراجع ..... - ٤٦ -

طبع بموافقة المركز الإعلامي لمكتب
سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
السيد الصرخي الحسني (دام ظله)

www.al-hasany.com

www.facebook/alsrkhy.alhasany
www.twitter.com/AnsrIraq

www.al-hasany.net
E-mail: **info@al-hasany.net**